وفي اول كلامه رضي الله عنه ما يدل على غلبة السوابق على قلبه وهي الخواتم ودلالته في حال النزع
مشغول بالله تعالى وذكره كال الشغل واستشعاره فراق الدنيا وانقطاع العمل فلما ساله سايل
عن مسالة اراد ان يوده بلطف وقال يا ولدي باب لي اليوم اذنه خمسا وتسعين سنة يعني
عبادته لربه واشتغاله به رجا قربه والبعد من سخطه ومحبته هو ذا ينفتح لي الان لا ادري الى
جنة او الى نار فاني لي والجواب في مثل هذه الحال ولعل امر الله الناس اذا لقنوا الميت
ذكر الله لا يلحوا عليه بالتكرار فانه قد يكون في شغل تام بالخير فيشوشون عليه حاله مع ربه
وانما الاحسن ان يقال لفظه بعد كله لاحتمال غفلته واما اخر الحكاية وهو ان كثرة الدين الذي كان
عليه فالظاهر من حاله انما كان يتدين للانفاق على الفقرا واهل الخير ووجوه البر وكان ارباب الديون
يعلمون حاله وانه اذا نحى عليه يبتغي قضاه وكانوا واثقين بوجوده وحياته فلما حضروا عند
موته وراوا ذكر دينهم وان نفوسهم كانت تطيب بسبب حياته فناجى ربه قال يا رب انت
تعلم ان الرهون وثايق لارباب الاموال تطيب نفوسهم بوجودها وانت اخذت الرهن
فاقض عني الدين يعني نفسه فعلم الله صدقه فاستجاب دعاه وبسر محبا للخير كان ذا ثروة وعلم
حاله فقضى عنه ويحتمل ان ياتي الله بولي وملك او جني في صورة ادمي فيقضي عنه كل الدين ذلك
جابر قال الامام رضي الله عنه وقال احمد بن حضرويه لا نوم اثقل من الغفلة ولا رق املك من الشهوة
ولولا ثقل الغفلة لما ظفرت بك الشهوة قال الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام صحيح
وذلك ان النوم غايته ان يقطع عن اسباب دنيوية وربما قطع عن بعض الاسباب
الاخروية والغفلة عن الله تعالى والدار الاخرة اعظم من كل نوم واثقل والنايم حسا اذا نبه
انتبه سريعا والنايم غفلة عن الخير وقلة الرغبة نبه ينبه مرارا ولا يستيقظ وكذلك
لا رق املك من الشهوة لان من ملكه هواه عمي عن عمل اخراه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة وجعله عبدا لهذه
الاشيا لامتلا قلبه بمحبتها واستغراقه في تحصيلها وحفظها وهذا هو معنى الاستعباد
والاستسخار وقوله لولا ثقل الغفلة لما ظفرت بك الشهوة وهو صحيح لان العبد
لو كان مستيقظا عند خطور خواطره ودواعي نفسه لافعاله وفرق بين المذموم منها والمحمود
لسلم من شهواته واشتغل بقربه وطاعته قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الحسن
احمد بن ابي الحواري من اهل دمشق صحب ابا سليمان الداراني وغيره مات سنة ثلاثين
ومايتين وكان الجنيد رحمه الله يقول احمد بن ابي الحواري ريحانة الشام سمعت الشيخ
ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا احمد الحافظ يقول سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول
سمعت احمد بن ابي الحواري يقول من نظر الى الدنيا نظر ارادة وحب لها اخرج الله نور اليقين
والزهد من قلبه وبهذا الاسناد يقول من عمل بلا اتباع سنة فباطل عمله وبهذا الاسناد

قال

قال احمد افضل البكا بكا العبد على ما فاته من اوقاته على غير موافقة وقال احمد ما ابتلى الله عبدا
بشي اشد من الغفلة والقسوة قال الشارح رضي الله عنه يقول من نظر الى الدنيا نظر ارادة
وحب للدنيا اخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه يعني في حال نظره وذلك ان يقين العبد
بحقارة الدنيا ونقصها عند خالقها وبحرمته تطلبها الزهد فيها مضادة لارادتها ومحبتها
ومتى احبها العبد لاستحسانها عنده ورغب في تحصيلها غفل عن حقارتها عند
ربه وتزهيده فيها وهذا معنى خروجها من قلبه لان الله سبحانه يعاقبه بهذه الارادة
والمحبة على ان لا يهتدي الى الزهد ولا اليقين ابدا وقوله من عمل بلا اتباع سنة فباطل عمله
يعني اخل بشروط العمل واركانه التي هي شرط صحته فيكون العمل باطلا من اصله ويحتمل
ان يكون اتماما ابطلان ثواب صاحبه وكما لو قال من عمله واتى بشروط صحته واخل
بفضايله التي سنتها الشريعة فقد بطل عليه ثواب هذه الزيادات ان المستورة حاصله من صحة
عمله واما قوله افضل البكا بكا العبد على ما فاته من اوقاته على غير موافقة قلنا البكا متنوع وهو على
اقسام وان كان كله فاضلا اذا كان لله فقد يبكي العبد على وقوعه في المعاصي لاخلاله بالواجبات
وارتكاب المحرمات وقد يبكي على غلبة نفسه اياه على التوبة عنها بعدما لو تورع وقد يبكي على ارتكاب
المكروهات او الكسل عن المندوبات وقد يبكي على تقصيره عن رفع الطاعات ونيل المقامات
العاليات في قلبه وجوارحه في عموم الساعات وقد يبكي على طروق الغفلات في كثير من الاوقات
وقد يبكي على عدم التلذذ بالمناجاة والحضور بقلبه في الدعوات وما ذكر من قوله على ما فاته
من اوقاته على غير الموافقات تجري على كل قسم من هذه الاقسام المذكورات على حسب الدرجات
والمقامات وقوله ما ابتلى الله تعالى عبدا بشي اشد من الغفلة والقسوة صحيح فان القسوة
تمنع من وصول التنبيهات وسماع واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم على ما ورد في الاخبار
الواضحات وانما يقسو القلب بتوالي المخالفات والتلذذ بالشهوات ومن ذلك الركون للغفلات
وتناسي النفس بذلك فيقسو القلب ويصلب عن سماع المواعظ والمذكرات وهذا البلا
هو الذي يفوت خيرات الاخرة ويخرق للقلب سائر الحسرات والندامات بخلاف
بلايا الدنيا فانها لا تخلو من اجر وان كانت فيها مشقات فبهذا الاعتبار كانت القسوة
والغفلة اعظم البليات قال الامام رحمه الله عليه ومنهم ابو حفص عمر بن سلم
الحداد من قرية يقال كورداباذ على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى احد الايمة
والسادة مات سنة نيف وستين ومايتين قال ابو حفص المعاصي بريد الكفر كما ان
الحمى بريد الموت قال الشارح رضي الله عنه وكلامه رضي الله عنه فيه تحريض على
ترك المعاصي والبعد عنها والاشتغال بالطاعات ودوام الذكر لله تعالى فان العبد
اذا اشتغل بذلك تجدد ايمانه وقوي يقينه وعاش قلبه من موت الغفلة واذا توالت